مسئولية الاتحاد السوفيتى أن يعيد حساباته !!

المشكلة الحقيقية فى رأيى ، مع الاتحاد السـوفيتى ، أن قيـادات الحزب الشيوعى السوفيتى لم تفهم بعد طبيعة الشعب المصرى ، أنـه شعب طيب ، صبور .. يتحمل كثيرا وطويلا .. يستقبل الضيف بقلبه .. يظهر دائما عرفانه . لا يجحد .. ولكنه لا يمكن أن يكون ذيلا . وكفاح السنين الطويلة ، وتضحيات الدم ، كانت للتحرر من أية تبعية .. ومهما واجهت الغالبية من الحرمان ، ومن قهـر العـيش ، فأنهـا شـامخة بكرامتها . وهو شعب يدرك بحاسته ما يختفى وراء أى قرار ، ويشعر دائما ، أنه أول شعب أعطى العالم حضارة معجزة فى علومها وفنونها . وبكل هذه الخصائص ، استقبل الشعب المصرى ، الرئيس الأمريكـى السابق نيكسون ، استقبالا أذهل العالم كله ، ونيكسون مهلهل فى بلاده . لم يكن ذلك الاستقبال لشخص نيكسون . ولم يكن تحية لامريكا التـى عانينا منها السنوات الطوال ، والتى أمدت وتمد إسـرائيل مـن لقمـة الخبز إلى الفانتوم .. ولكنه كان إعلانا تلقائيا من الشـعب المصـرى ، ليثبت فيه للعالم كله ، أن مصر ليست مستعمرة سوفيتية .. كما كانـت الدعاوة الصهيونية والاستعمارية تحاول أن تصورنا .. وليؤكد للعـالم كله أننا انتصرنا ، وحققنا معجزة عسكرية بقدرة الإنسان المصـرى ، على الغرم من كل ما عانينا ، فى الحصول على السلاح ، مـن قـوت الحياة اليومية ..

نعم .. لقد حاربنا بسلاح سوفيتى .. وهذه حقيقة لا ننكرها .. وقد تحدد انتصارنا على قدر كمية السلاح السـوفيتى ونوعيتـه .. وهـذه حقيقة يجب إلا ينكرها الاتحاد السوفيتى .

ونعم أيضا أننا كنا ندفع ثمن هذا السلاح بالعملة الصعبة ، وبكـل ما ننتج من حاصلات ، وبكل ما تصنعه اليد المصرية .. حتى الأحذية ، لقد أخذ الاتحاد السوفيتى ما قيمته 16 مليونا من الجنيهات من الأحذية المصرية ، مقابل ديونه !

ولكن الصداقة لا تعنى الوصاية .. والتحالف لا يعنـى التبعيـة .. والعرفان لا يعنى التخلى عن مبادئنا فى السلام الاجتماعى .

وعندما كان أنور السادات فى أمريكا ، وثارت الزوبعة حول قرار الأمم المتحدة بأن إسرائيل دولة عنصرية ، حاصـرته الأسـئلة : " أن تأييد مصر لذلك ، يعنى خلافا مع أمريكا .. " فأجاب الرجل : " لقد جئت إلى أمريكا بروح الصداقة لا بمشاعر التبعية .. وصداقتنا لا تمنـع أن نختلف ، ومهمتى هنا .. ليس أن اضغط على الفلسطينيين مـن أجـل أمريكا .. ولكن أن أضغط على أمريكا من أجل فلسطين . "

وبهذا المسار .. كسبت مصر ، واسـتعادة احترامهـا الـدولى ، ومكانتها بين شعوب العالم . ولا يوجد قلم الآن فى العالم مـن اقصـاه يكتب عن أنور السادات إلا بوصفه رجل الدولة العظيم .. باستثناء اقلام صحف الاتحاد السوفيتى التى تتحدث عن أنور السـادات بأنـه يشـوه

الحقائق ، وبأنه يضرب إنجازات ثورة 23 يوليو ، وكأن ثورة يوليـو هى من صنع الاتحاد السوفيتى ، وكأن بريجنيف وذيوله فى دمشـق ـ هو مفجر ثورة يوليو لا أنور السادات مع زملائه .

لم نكن مستعمرة سوفيتية ولن نكون مستعمرة أمريكية .

بل أن العملاقين الاتحاد السوفيتى ، وأمريكا قد اتفقا فى بيانـات رسمية على احترام كل منهما مصالح الأخر فى الشرق الأوسط وليست مصر ، ضد مصالح الدول الكبرى ، بغير أن تكون على حساب رخائنـا وتطورنا وتحرير أرضنا وسيادتنا على هذه الأرض .

أن إلغاء المعاهدة مع السوفيت .. هو رد فعل لكل سلوك الاتحـاد السوفيتى معنا .. وقد وافق السادات على المعاهدة بعد الطلب الملح من السوفيت لكى يؤكد لهم ، أن الثقة أولا وأخيرا هى أسـاس التعامـل لا سطور المعاهدات ..

وقد جاهدنا طويلا مع الاتحاد السوفيتى لكى يكون تطبيـق هـذه المعاهدة حقيقة مضيئة فى العلاقات بين البلـدين . ولكـن بريجنيـف تصرف معنا بكل ما يلغى المعاهدة .. وكان علينا نحن أن نعلـن هـذا القرار .. لأن من حق شعبنا أن يعيش فى النور .

ونحن لا نريد عداء مع الاتحاد السوفيتى ..

ونحن لا نريد تصعيدا للجفوة ..

ولكننا نريد للاتحاد السوفيتى أن يعيد حساباته ، وأن يعـرف أن التعامل مع شعب مصر .. ليس هو التعامل مع القذافى وأمثال القذافى .